مبدأ التغريض في الدراسات العربية
بحث في الدراسات القرآنية والبلاغية والنقدية

The Matisation Concept in the Arabic Studies
Research in Quranic, Rhetorical and Critical studies

ـ طالبة دكتوراه: مريم غرايسة
الدكتور: سليم سعداني

. قسم اللغة والأدب العربي . جامعة الشهيد حمة لخضر. الوادي . الجزائر
مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده . جامعة الوادي
meriemghdz94@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/04/19 تاريخ القبول: 2020/10/24 تاريخ النشر: 2021/03/15

ملخص:

يبحث هذا الموضوع في قضية حضور أحد مبادئ الانسجام التي تربط أول النص بمنتهاه، والذي هو التغريض، في الدرس العربي المتعدد الاختصاصات كمحاولة لتأصيله وتبيان أهميته في الأبحاث العربية؛ ذلك لأن الذي يجيل بصره في المؤلفات العربية قديمها وحديثها، يمكنه أن يلاحظ وجود أفكار وممارسات يمكن إدراجها ضمن حلقة الدراسات النصية، التي تربط الجمل بسياقاتها اللغوية والمقامية، وظاهر الكلام بباطنه.

الكلمات المفتاحية: التغريض؛ الانسجام؛ لسانيات النص؛ الدراسات العربية؛ علوم القرآن؛ النقد؛ البلاغة.

***Abstract*:**

This study aims at investigating the presence of one of the principles of coherence that connects the text's beginning with its ending, as an attempt to originate it and show its importance in the modern studies. It is known in the Arabic multidisciplinary studies as "Matisation". Whoever scrutinizes the Arabic researches, both ancient and modern, can observe, as a result, the existence of ideas and practices, which can be included within the textual studies, linking the sentences with their linguistic and

situational contexts, as well as the explicit meaning with the implicit one.

Key words: The Matisation; Coherence; Textual Linguistics; The Arabic studies; Quran Sciences; Criticism; Rhetoric.

تقديم:

شهدت الدراسات اللغوية المعاصرة تطورًا كبيرًا؛ فبعد أن كانت مُنصبَّة على الجملة باحثة في بنياتها والعلاقات بين مكوناتها، توجهت إلى توسعة موضوع الدّراسة والذي تمثل في النَّصّ، وهو ما تبعه تطوير أدوات ومنهج الدراسة، مما يعني ميلاد علم قائم بذاته.

لسانيات النَّص هي العلم الذي يتَّخذ من النَّص وحدة كبرى للتَّحليل؛ ومما يبحث فيه: حدُّ النَّص، والشروط الواجب توفرها في الملفوظ حتى يمكن أن نعده نصًّا، ومن بين تلك الشروط؛ معيار الانسجام أو ما يُسمى الحبك، الالتحام، الترابط الدلالي، الترابط المفهومي، بل وهناك من اختار تسمية الاتساق كعبد القادر قنيني؛ مترجم كتاب فان دايك (Van Dijk) " النص والسياق"...وكلها مقابلات للمصطلح الأجنبي "coherence"، الذي يُقصد به (التعبير النّصي عن البنية المنطقية المجردة التي تربط عناصر المحتوى بعضها ببعض)[1]؛ وهذا يبين أنه يقع على مستوى بنى النص العميقة، التي تشمل التصورات والمفاهيم المُشَكِّلة لعالمِهِ[2]. وبالتعالق الدلالي بين مكونات المحتوى ينتج نصٌّ منتظمُ المعاني متصلُ الكلامِ.[3] ذلك أن الانسجامَ معيارٌ دلاليٌّ، يُعنى بدراسة النصوص من حيث هي علاقات دلالية وثيقة الارتباط، ولأنه يقوم برصد العلاقات الدَّلالية المتوافرة في النصوص وبكيفية انتظامها وتسلسلها فقد اختلف العلماء في ضبط الآليات التي تحقق ترابطها الدلالي، مشكلين عدة توجهات؛ وذلك لأن المعنى ذو طبيعة زئبقيَّة عصية عن الحصر، ومن الوجهات التي نظرت للانسجام نذكر:

منظور اللّسانيات الوصفيَّة: الذي يمثّله كل من هاليداي ورقية حسن (Halliday & Ruqaiya Hasan)، حيث جعلا الاتساق ركيزة تحقيق الانسجام، بل وعدّاه الحد الفاصل بين النصِّ واللانص[4]. فالترابط الشكلي المبني على الأدوات اللغوية هو فيصل انسجام النصوص، بل واتصافها بالنصية.

منظور لسانيات الخطابِ: يبرزُ اسمُ فان دايك (Van Dijk) كأشهرِ ممثِّلٍ لهذا الاتجاه، الذي يرى أن الانسجام في النَّص يُحقَّقُ بوجود البنية الكبرى الكليَّة (موضوع الخطاب)، والترابط الدلالي الذي هو علاقةٌ دلاليَّةٌ بينَ القضايا ضمنَ متواليةٍ ما من الجملِ[5]؛ فانسجام النص متوقف على وجود فكرة جوهرية تلقي بظلالها على كافة أجزاء النص،

منظور تحليل الخطاب: تبنى هذا الاتجاه كل من براون ويول (Brown & Yule) في كتابهما "تحليل الخطاب"، حين نظرا إلى الانسجام على أنه نتاج عملية تأويلية تتم في ذهن المتلقي، يبنيه اعتمادًا على السياقات الخارجية وكذا تشغيل تجربته السابقة[6]، فمن خلال معرفة الظروف المحيطة بالنص يمكن فهم ما يرمي إليه، ومن ثم الحكم على النص بالتماسك الدلالي. ولعلَّ مبدأ التغريض- أحد مبادئ الانسجام عندهما - الآلية الوحيدة التي يعتمد فيها القارئ اعتمادًا جوهريًّا على معطيات لغوية بحتة ليحكم على نص ما بالانسجام، ذلك أنه يبحث في العلاقة بين النص وأجزائه، ونقطة بدايته، أو بتعبير آخر يبحث في مدى قدرة نقطة انطلاق النص على إظهار الغاية من النص.

1. تعريف مبدأ التغريض

أ- لغة:

التغريض في اللغة مصدر الفعل غرَّض من الجذر (غ . ر. ض) الذي يحمل عدة دلالات لعلّ من أقربها للمعنى الاصطلاحي، كونه هدفًا أو غاية، وأوّل الشيء؛ فقد قال صاحب القاموس المحيط: الغرض (هدف يرمى فيه ج: أغراض، [...]وغرّض تغريضًا: أكل اللحم الغريض،) أي الطري[7]. وقال الزبيدي: ((الغَرَض مُحرَّكة: هدف يُرمى فيه)[...] ثم جُعل اسمًا لكل غاية يُتحرى إدراكُها)[8]، ((والغرض: إعجال الشيء عن وقته) وكل شيءٍ أعجلته عن وقته فقد غَرَضته)[9] وأضاف: (والغارِض: من ورد الماء باكرًا [...] وأتيته غارضًا: أولَ النهار[...] والغريض: الماء الذي وُرد عليه باكرًا)[10] وقال أيضا: (والغرض: القصد يقال فهمت غرضك، أي قصدك،[...] ويقال: غرضه كذا، أي حاجته وبغيته، [...] والإغريض: قطْر جليل تراه إذا وقع كأنه أصول نبل، وهو من سحابة متقطعة، وقيل هو أول ما يسقط منها)[11]. وعند ارتحال المفردة إلى عالم الاصطلاح كانت قد جمعت دلالات القصد والتبكير، والابتداء، لتعبر عن مفهومها الاصطلاحي الذي يشير إلى قدرة منطلق النص على إظهار مقاصده.

ب- اصطلاحًا:

التغريض آلية انسجامية يطور وينمى بواسطتها العنصر المركزي في الخطاب، وعادة ما يكون اسم شخص، أو قضية ما أو حادثة، كما يحتل غالبا رتبة الصدارة[12]، وفي تعريفه قال خليل بن ياسر البطاشي: هو (المحتوى المُضَمَّن في بداية الخطاب، ويكون عنوان النص أو الجملة الأولى فيه، وهو يبحث في العلاقة بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين عنوانه، أو نقطة بدايته)[13]؛ فالتغريض تقنية خطابية يتم من خلالها تكثيف دلالات النص في نقطة انطلاقه، ليتم توزيعها عبر كافة أجزاء النص، أو كما يؤكد براون ويول(Brown & Yule) على أن (الشيء الذي يستهل به المتكلم أو الكاتب حديثه يؤثر حتما في فهم كل ما يأتي لاحقًا، هكذا

يؤثر العنوان في فهم النص الذي يتبعه. كذلك تحُد الجملة الأولى في الفقرة الأولى ليس فقط من معنى الفقرة ولكن من معنى بقية النص)[14]؛ ذلك أن هناك علاقة وثيقة تربط بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين نقطة بدايته فهذه البداية تُعد تقييدًا لطاقة المتلقي التأويلية وهي التي تعينه في قراءة النص وتأويله وفهمه[15].ومن ثم بناء انسجامه.

2. وسائل التغريض:

يمكن القول بأن نقطة بداية النص التي يتم تضمينها محتواه الدلالي والغرضي سيكون لها تمظهران؛ فهي إما أن تكون عنوانًا له، أو مفتتحه16

أ- العنوان: يُعرف ليو هويك العنوان بقوله هو (مجموعة من الدلائل اللسانية يمكنها أن تثبت في بداية النص من أجل تعيينه والإشارة إلى مضمونه الجمالي...)[17]، وقد جعل براون ويول(Brown & Yule) العنوان الوسيلة الخاصة والأقوى للتغريض[18]؛ لأنّه (أول عتبة نلج من خلالها عوالم النص)[19]، وكونه عتبة أولى للنص لا يعني هذا أن دوره مقتصر على تسمية النص أو تعيينه فقط (بل على العكس إنه يظهر ويعلن نية (قصدية) النص)[20] ذلك لأنّه نظام سيميائي وعلامة لسانية لها دلالاتها الضمنية والإيحائية يمكن استجلاؤها من خلال النظر في بنية النص بوصفه عملا مترابطا محكوما بعلاقات دلالية ونصية وسياقية[21]. فالعنوان هو النافذة التي تسمح للقارئ بالاطلاع على ما يحمل النص من أفكار ومقاصد.

ب- الفاتحة النصية: هي ما تصطلح عليه الدكتورة خلود العموش بالجملة الابتدائية وتعرفها بأنها الجملة الأولى أو المفتتح بها النص[22]، وتضيف مؤكدة على الدور الكبير الذي تلعبه في التغريض قائلة: (فإن فاتحة النص تحتل أهمية خاصة؛ فموقعها في النص يجعل منها مفتاح التعالقات التركيبية والدلالية فيه. كما أنها الموضع الذي يحمل نواة الغرض الذي تتعالق عبر شبكته مكونات النص كلها)[23]؛ فمن خلال موقعها وما تتميز به من اكتنازٍ بمعانٍ وإشارات وتراكيب نحوية، كل ذلك أتاح لها القيام بوظائفها المساهمة في التكوين الدلالي للنص؛ حيث يمكّنها موقعها من الاتصاف بالسببية لمنظومة الجمل القادمة[24]، كما أن وجه ترابط متتاليات الجملِ المشكلة للنص، مع فاتحته قائم على أنها إجمال وما بعدها تفصيل لها[25]، فكون الفاتحة النصية بؤرة النص، يعني أن لها نوعين من علاقات الارتباط ببقية أجزاء النص، فهي إما أن تجمل ما سيفصله النص، أو أن تكون سببًا لما سيلحق بها من تتابعات.

وإذا ما نظرنا داخل النصوص التي يؤدي فيها العنوان والمفتتح دورهما التغريضي بنجاح أكثر وجدنا حضورًا لتلك العناوين والافتتاحيات بطرائق مختلفة، من ذلك:

– تكرير اسم الشخص أو الشيء، أو تكرير جزء من الاسم: وهو ما يصطلح عليه واورزنياك (Zdzislaw Wawrzyniak) بالإحالة الاسمية المكررة، (ويحدث هذا التكرير

إما في صياغة متساوية في الشكل أو متنوعة صرفيًّا في مقابل الاسم المنطلق النصي[...] ويمكن أن يصير الاسم المكرر بوصفه معلومة مؤكدة أو ما يسمى الوصف المحدد من خلال عملية تكرير مستمرة للاسم، اسمًا مُتَسَيِّدًا في النص، أي موضوعَ النص)[26]؛ فالاسم الذي ورد في العنوان ثم كان له تواجدٌ متكرّرٌ في النّص، وإنْ بأشكال وصيغ مختلفة، سيحدد موضوع النص، بل وسيساهم في التلميح إلى الغرض الذي يرمي إليه النص.

– استخدام الضمائر المحيلة إليه: ويصطلح عليه فان دايك (Van Dijk) مصطلح التحاول أو الإحالة المشتركة، ويرى أن ارتباط القضايا يمكن أن يتم من خلال تطابق الشخص الذي تحيل إليه عدة جمل في التتابع.[27]، ذلك أن اتحاد أغلب الضمائر في العودة إلى مرجع "محال إليه" محدد في النص من شأنه أن يوحد البنية الدلالية للنص، ومن ثم الإشارة إلى مقاصده وغاياته التي يصبو إليها، فالإحالة هاهنا لا تعبر عن إحدى آليات التماسك الشكلي فقط؛ لأن المحيلات متى اتحدت في مُحالٍ إليه واحد ساهمت في توحيد موضوع النص، مما يجعل من الإحالة المشتركة أداة ربط حبكيٍّ[28] (وهذا القدر من الترابط الدلالي الناشئ بسبب الإحالة يكفي في تلاحم البنية الكبرى)[29] للنص، وبالرغم من أن موضوع النص لا يعني بالضرورة غرضه، إلا أنه وسيلة المؤلف للتعبير عما يرمي إليه من خلال النص. وكل من العنوان وافتتاحات النصوص، وتمظهراتها مؤشراتٌ تعين القارئ على الوصول إلى أهداف النص، ومن ثم الحكم بانسجامه.

مجمل القول إذن مبدأ التغريض يشير إلى آلية انسجامية يتم من خلالها استثمار نقطة بداية الخطاب، ومنحها القدرة على إظهار قصد الكاتب من الموضوع، وقد لمسنا هذا المفهوم في العديد من المؤلفات العربية على اختلاف توجهاتها، يمكن تصنيفها إلى قسمين: مؤلفات النقد والبلاغة، ومؤلفات متعلقة بدراسة القرآن الكريم.

الدراسات القرآنية

إن المطلع على مؤلفات علوم القرآن يلحظ فيها الكثير من الأفكار والممارسات التي تكشف عن وعي عميق لدى أصحابها بنظرة نصية القرآن الكريم، وبكيفية دراسته، ومن بين تلك العلوم يبرز علم المناسبة الذي يقترب مفهومه كثيرا من الانسجام ذلك أنه العلم الذي يبحث في أوجه الترابط بين أجزاء النص القرآني[30]. ومن بين الأفكار والقضايا التي يطرحها علماء المناسبة في مؤلفاتهم والتي تعكس إدراكهم التام لمفهوم مبدأ التغريض، ما يسمى مناسبة اسم السورة لغرضها، ومناسبة فاتحة السورة لموضوعها العام، من ذلك ما أورده الإمام البقاعي (885هـ) ناقلا عن شيخه محمد البجائي القائل:(الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات لجميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض

من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها؛ فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن)[31].

قدّم البقاعي من خلال قول شيخه الأسس العملية لمعرفة ارتباط النص القرآني بعضه ببعض.

الأول: تحديد غرض السورة

الثاني: تحديد ما يمهد للغرض من مقدمات.

الثالث: تفحص تلك المقدمات وبيان مدى قدرتها على احتوائها لباقي أجزاء النص.

الأخير: تتبع أثر استرسال أجزاء النص وتواليه في نفس السامع[32].

ثم استنتج من كلام شيخه أن: (اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه، عنوانه الدال إجمالًا على تفصيل ما فيه)[33]

وواضح من هذه النتيجة أنّ الإمام البقاعي حصر المقدمات التي ذكرها شيخه في العنوان، وجعل العلاقة بينه وبين النص علاقة إجمال وتفصيل، وقد أكَّد في موضعٍ آخر على أنَّ (من عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها)[34]، فالبقاعي يبين قدرة العنوان على تحمل معاني النص الخفية، والذي سينجر عنه ضبط الكيفية التي انتظمت بها سلسلة أفكار النص، وهو ما يحقق بلوغ انسجام النص.

كما تطرق الإمام السيوطي(911ه) لهذا المفهوم أيضا، فقد وسع من دائرة تلك المقدمات التي ذكرها البجائي ولم يحصرها في العنوان فقط كما فعل البقاعي، بل تعداها إلى كل ما كان أول الكلام بصفة عامة. وسعى إمكانية تلميحها للمقصود براعة الاستهلال مُعرِّفا إياها بقوله:(أنْ يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله والعلَم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن، فإنها مشتملة على جميع مقاصده [...] وكذلك أول سورة ﴿اقرأ﴾ فإنها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما أنزل من القرآن [...]ولهذا قيل أنها جديرة أن تسمى: عنوان القرآن، لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله)[35]، وعَرَّف حسن الاستهلال مرة أخرى على أنّه (مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له)[36]؛ فقد أكسب السيوطي أوَّلَ الكلامِ دورًا هامًّا، إذا راعى المتكلم فيه شرطين؛ تداولي بأن يكون ابتداء الكلام مناسبًا للسياق المقامي الذي ورد فيه، ونصي متمثل في إلمامه بدلالات تلمح إلى غرض المتكلم، وذلك من خلال

احتوائه إجمالًا لتفصيل ما يرمي الباثُّ إيصاله للمتلقي، وأول الكلام عنده يمكن أن يكون العنوان الذي يكتنز بأغراض المتكلم، رغم بنيته المختزلة، وقد يكون مفتتح النص الذي يمثل بؤرة تنبثق منها جميع غايات النص.

ويظهر هنا تطابق كبير بين ما أتى به براون ويول(Brown & Yule) مع دراسات علماء المناسبة السابقة، من خلال إبراز الدور الكبير الذي يلعبه كل من العنوان ومفتتح النصوص في تحديد مجال دلالات النص، بل وإعلانهما عن مقاصده؛ فالعنوان من جهته يشكِّل (اعتصارًا للنص وإعلامًا بفحواه حتى إذا ما قرئ شفّ عن الموضوع ودل عليه)[37]، وامتازت جملة المفتتح من جهتها بكونها مشحونة دلاليًا وأنّها تؤدي دورًا توجيهيا للمتلقي نحو المعنى المراد من الخطاب.[38]

بالإضافة إلى أبحاث علم المناسبة المتعلقة باسم السورة ومطلعها وقدرتهما على الإشارة إلى الغرض العام للسورة، والتي تكافئ كتفًا بكتف مبدأ التغريض الذي وضعه براون ويول(Brown & Yule)، هناك عدد من التفاسير القرآنية التي كان من إجراءاتها المنهجية اعتماد مبدأ وحدة النص القرآني أثناء العملية التفسيرية، وكمثال على تلك التفاسير: "مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير" لفخر الدين الرازي(606ه)، الذي ضمنه العديد من الأفكار التي تؤكد تمكنه الكبير من الإمساك بناصية هذا المبدأ، من ذلك ذكره في معرض تفسيره لإحدى آيات سورة الأنبياء قاعدة أن يكون مطلع الكلام ملائمًا لما سيقال بعده، فقال: (مقدمة الكلام لابد وأن تكون مناسبة للكلام)[39]. فكأنه من خلال وضع الافتتاح مع بقية الكلام في علاقة تجمعها يدعو إلى العمل على جعل الكلام مترابطًا؛ أي منسجمًا. فضلا عن ذلك يمكن للناظر أن يلحظ أن الرازي كانت لديه ممارسات إجرائية لآلية الربط بين أول النص وفحواه الغرضي فقد قال في وجه تسميات سورة الفاتحة، فالأول: فاتحة الكتاب (... قيل سميت بذلك لأن الحمد فاتحة كل كلام على ما سيأتي تقريره، وقيل لأنها أول سورة نزلت من السماء، والثاني: << سورة الحمد >> والسبب فيه أن أولها لفظ الحمد والثالث: << أم القرآن >> والسبب فيه وجوه [نذكر منها الوجه الأول وهو]:

أن أم الشيء أصله، والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر، فقوله (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم) يدل على الإلهيات، وقوله (مالك يوم الدين) يدل على المعاد، وقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) يدل على نفي الجبر والقدر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره، وقوله (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) يدل أيضا على إثبات قضاء الله وقدره وعلى النبوات، وسيأتي شرح هذه المعاني بالاستقصاء، فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه

المطالب الأربعة وكانت هذه السورة مشتملة عليها لقبت بأم القرآن[...])[40]، فكونه نظر إلى موقعها وتسمياتها مصحوبة بدلالاتها واستشفافه لمقاصد القرآن العظيم فيها، يعني أنه بالفعل مدرك تمامًا لهذا المبدأ من التطبيق الفعلي له.

كما تحدث أثناء تفسيره للآية الأولى من سورة الأنعام عن السور المفتتحة بالحمد ورأى أن التحميد في سورة الفاتحة أشملها حيث يقول: (اعلم أن هذه الكلمة مذكورة في أول سور خمسة. أولها: الفاتحة، فقال (الحمد لله ربّ العالمين) وثانيها: في أول هذه السورة، فقال: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) والأول أعم لأن العالم عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، أمّا قوله (الحمد لله الذي خلق السموات والارض) لا يدخل فيه إلا خلق السموات والأرض والظلمات والنور، ولا يدخل فيه سائر الكائنات والمبدعات، فكان التحميد المذكور في أول هذه السورة كأنه قسم من الأقسام الداخلة تحت التحميد المذكور في سورة الفاتحة[...]، فظهر أن الكلام الكلي التام هو التحميد المذكور في أول سورة الفاتحة وهو قوله (الحمد لله رب العالمين) [...] فذلك الكلام هو الكلام الكلي الوافي بالمقصود. أما التحميدات المذكورة في أوائل السور فكان كل واحد قسم من أقسام ذلك التحميد ونوع من أنواعه)[41]، ذلك أن افتتاح النص لا بد وأن يكون أشمل من افتتاحات فقراته، لأن تلك الأخيرة كل منها يعبر أو يلمح لفكرة الفقرة، أما افتتاح الفقرة الأولى من النص فهو يحيل إلى المضمون الكلي للنص.

كما تناول الرازي فكرة أن تكون العلاقة الجامعة بين افتتاح السورة والمضمون الكلي للسورة سببية، فقد عبر عن ذلك في مستهل تفسيره لسورة النساء قائلا: (اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف، وذلك لأنه تعالى أمر الناس في أول هذه السورة بالعطف على الأولاد والنساء والأيتام، والرأفة بهم وإيصال حقوقهم إليهم وحفظ أموالهم عليهم، وبهذا المعنى ختمت السورة، وهو قوله (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) وذكر في أثناء هذه السورة أنواعًا أخر من التكاليف، وهي الأمر بالطهارة والصلاة وقتال المشركين، ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس لثقلها على الطباع، لا جرم افتتح السورة بالعلة التي لأجلها يجب حمل هذه التكاليف الشاقة، وهي تقوى الرب الذي خلقنا والإله الذي أوجدنا، فلهذا قال (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم))[42]؛ فبين أن منطلق السورة يحمل سببًا لما سيتم إدراجه من مضامين داخلها ...

كما أشار أيضا إلى نوع آخر من العلاقات الرابطة بين أجزاء السورة فقال: (تقدم في هذه السورة أمر الناس بالقسط كما قال: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) وأمرهم بالإشهاد عن دفع أموال اليتامى إليهم، وأمرهم بعد ذلك ببذل النفس والمال في سبيل الله، وأجرى في هذه السورة قصة طعمة بن أبيرق واجتماع قومه على الذب عنه بالكذب والشهادة على

اليهودي بالباطل. ثم إنه تعالى أمر في هذه الآيات بالمصالحة مع الزوجة، ومعلوم أن ذلك أمر من الله لعباده بأن يكونوا قائمين بالقسط، شاهدين لله على كل أحد، بل وعلى أنفسهم، فكانت هذه الآية كالمؤكد لكل ما جرى في هذه السورة من أنواع التكاليف)[43]. وكأنه يلمح لفكرة على حضور آيات المفتتح في مختلف أجزاء السورة، وإن تعددت الصيغ المعبرة عنها.

ومن المفسرين المحدثين الذين تجلت لديهم أفكار وممارسات تفسيرية تؤكد وعيهم بمبدأ التغريض، المفسر محمد الطاهر ابن عاشور(1973م) الذي كان ديدنه قبل تفسير كل سورة أن يتناول تسمياتها وغرضها، ووجه تسمياتها، كما تناول ابتداءات السور وإشارتها البليغة لغاياتها، وقد عبّر عن تمكن مفتتح النص من التعبير عن مقصوده العام بـ :"براعة الاستهلال" فمن ذلك قوله أثناء تفسير الآية الأولى من سورة الأنعام: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾؛ (تصدير السورة بالأمر بالإيفاء بالعقود مؤذن بأن سترد بعده أحكام وعقود كانت عقدت من الله على المؤمنين إجمالا وتفصيلا ذكرهم بها لأن عليهم الإيفاء بما عاقدوا الله عليه[...] وذلك براعة استهلال)[44] وإذا حاولنا مقاربة هذا القول الإجرائي مقاربة نظرية سنجده يقول بأن من وظائف المطلع أو المفتتح النصي التلميح إلى ما سيعقبه من أفكار في النص، وهو ما وافقه فيه الباحث العربي ياسين النصير حين قال: (...أما الوظيفة الثانية للاستهلال فهي التلميح بأيسر القول عما يحتويه النص)[45]، فقد أكّدا على أن يحمل المطلع في طيّاته ما يشير إلى مضامين النص؛ بعبارة أخرى جعلا من الافتتاح وسيلة فعّالة للتغريض.

وعلاوة على إثبات دور المفتتح في التغريض يقول ابن عاشور في أغراض سورة سبأ: (من أغراض هذه السورة إبطال قواعد الشرك وأعظمها إشراكهم آلهة مع الله وإنكار البعث فابتدئ بدليل على انفراده تعالى بالإلهية ونفي الإلهية عن أصنامهم ونفي أن تكون الأصنام شفعاء لعبّادها)[46]، حيث بين أن الغرض من السورة يحتاج مقدمات لتأكده قبل التصريح به، وأكد على ذلك بقوله: (افتتحت السورة بالحمد لله للتنبيه على أن السورة تتضمن من دلائل تفرده بالإلهية واتصافه بصفات العظمة ما يقتضي إنشاء الحمد له والإخبار باختصاصه[...] وفي هذا التحميد براعة استهلال الغرض من السورة)[47]، فتعليله لافتتاح السورة بناء على ما تحمله من مضامين يدلل على إدراكه لمفهوم التغريض من خلال مطالع النصوص.

بالإضافة إلى ذلك يمكن للذي يجيل نظره في صفحات تفسير التحرير والتنوير أن يلحظ بروز مفهوم التغريض عند ابن عاشور من خلال العنوان، وكمثال على ذلك كلامه في وجه تسمية سورة الجمعة بهذا الاسم قائلا: (يحتمل أن يكون لفظ الجمعة الذي في اسم هذه السورة معنيًّا به صلاة الجمعة لأن في هذه السورة أحكامًا لصلاة الجمعة، ويحتمل أن يراد به

يوم الجمعة لوقوع لفظ الجمعة في السورة في آية صلاة الجمعة)[48]، فقد فتح الباب لتضييق التأويل أو توسعته، اعتمادا على وجود مؤشرات كل منهما داخل النص، لكن مع الاستعانة بالافتتاح يتم تقييد الطاقة التأويلية لدى المتلقي بحيث يصبح بإمكانه الربط بين أول الكلام مع غرضه العام، وهو ما قام به ابن عاشور في تفسيره أول آيات سورة الجمعة ﴿ يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾؛ حيث قال: (افتتاح السورة بالإخبار عن تسبيح أهل السموات والأرض لله تعالى براعة استهلال لأن الغرض الأول من السورة التحريض على شهود الجمعة والنهي عن الأشغال التي تشغل شهودها وزجر فريق من المسلمين انصرفوا عن صلاة الجمعة حرصًا على الابتياع من عير وردت المدينة في وقت حضورهم لصلاة الجمعة)[49]، وبهذا يكون العنوان قد تظافر مع الافتتاح في تغريض النص أوّلًا، ومن ثم بيان التحام أجزائه.

ثم يضيف ابن عاشور تأكيدًا لهذا المبدأ ما قاله في تسمية سورة القيامة: (عنونت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة بسورة القيامة لوقوع القسم بيوم القيامة في أولها ولم يقسم به فيما نزل قبلها من السور)[50]، فقد نظر لاختصاص السورة بهذه التسمية من زاويتين: الأولى من داخلها، والأخرى بالنظر إلى ما يحيط بها من السور، حيث لا بد للعنوان الفرعي من أن يلائم الفقرة التي يترأسها ملاءمةً تجعله عاكسًا لها، حاملًا لمضامينها دون بقية الفقرات، وإن كانت متعالقة فيما بينها، متقاربة الأفكار والغايات. وإذا نظرنا بشيء من التدقيق إلى قوله بأنها سميت بالقيامة لوقوع القسم بالقيامة في أولها، فإنه يتبادر إلى الذهن استفهام " هل ورود القسم بالقيامة في أولها كافٍ، لأنْ تسمى السورة بهذا الاسم؟"، أو بالأحرى هل يكفي أن يرد لفظ العنوان في منطلق النص حتى يكون مناسبًا للنص؟، الجواب بكل بساطة لن يكون ذلك كافيًا إلا إذا حمل المطلع ذخيرة دلالية لمجمل النص، وبالفعل هو ما أكده ابن عاشور حين قال: (افتتاح السورة بالقسم مؤذن بأن ما سيذكر بعده أمر مهم لتستشرف له نفس السامع كما تقدم في عدة مواضع من أقسام القرآن. وكون القسم بيوم القيامة براعة استهلال لأن غرض السورة وصف بيوم القيامة)[51]. فقد بيّن أن المطلع مشعر بغرض النص.

إن ما أوردناه من آراء لما قدمه علماء القرآن في مضمار انسجام النص من خلال النظر لعلاقة عنوانه ونقطة بدايته بالغرض العام له، هو غيض من فيض، ذلك أن استقراء هذا المبدأ الكامن في مضامين مؤلفات الدراسات القرآنية يحتاج دراسة متأنية وبحثًا دؤوبًا، حتى توفى حقها.

هناك تطابق كبير بين ما أنتجه علماء القرآن وما وضعه براون ويول(Brown & Yule) في كتابهما تحليل الخطاب، هذا التطابق بين الدراستين ينم عن دقة وسبق علماء القرآن في دراسة ترابط النص، والفرق الجوهري الوحيد يكمن في ميل الأولين للتطبيق، في حين براون ويول (Brown & Yule) كان لهما فضل الصوغ النظري.

الدراسات البلاغية والنقدية

إن الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم كثيرًا ما يضبطها هالة القداسة المحيطة بالنص القرآني؛ ذلك أنها تخوض في كلام الله عز وجل، في حين يكون للنقاد والبلاغيين، فسحة التكلم في النصوص الأدبية، بل وبإمكانهم تقديم أحكام معياريَّة، على الأدباء اتباعها بغية الرقي بنصوصهم إلى درجة عالية من الدّقة والإبداع، ومن بين تلك الأحكام دعوتهم لتضمين صدور الكلام ما يدل على الغرض منه، فقد قال ابن المقفع (142ه) في معرض كلامه عن البلاغة: (... ليكن في صدر كلامك دليلٌ على حاجتك)[52]، حيث يرى أنه من الشروط الواجب توفرها في الخطابات حتى تكون بليغة، أن تحوي مطالُعها دلائلَ أغراضها، بمعنى حتى تكون النصوص منسجمةً لابد من أن يكون في افتتاحها ما يدل على مقاصدها.

وفي إشارة إلى ضرورة اكتناز مفتتح النصوص بما يريد الشاعر/ الخطيب إيصاله من خلال نصه يقول ابن طباطبا العلوي(322ه): (ومن أحسن المعاني والحكايات في الشعر وأشدها استفزازا لمن يستمعها الابتداء بذكر ما يَعْلَمُ السامعُ له إلى أي معنى يُساق القول فيه قبل استتمامه وقبل توسط العبارة فيه)[53]، فالمتكلم الفصيح، إذا أراد أن يصل المتلقي إلى مقصوده عليه أن يحشد ما توافر له من إمكانات لغوية لوضع مطلع بديع، يستطيع التلميح إلى كنه القصيدة أو النص.

وفي القضية ذاتها أدلى ابن رشيق القيرواني(456ه) بدلوه فقال: (والمطلع وهو أول البيت، جودته أن يكون دالًّا على ما بعده، كالتصدير وما شاكله)[54]، فهو يرى أن جودة مطلع الكلام تكمن في دلالته على ما سيلحق به.

وفي المسألة نفسها كان للقزويني(623ه) إسهامٌ جليلٌ حين قال: (وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ويسمى براعة الاستهلال)[55]، حيث جعل معيار جودة مطالع النصوص، في ملاءمتها للهدف المنشود من إنتاجه، واصطلح على التناسب بين المطلع والمقصود براعة الاستهلال، كإشارة على أن المقصود بالتناسب هو إشعار المطلع بما يحمله النص من أغراض.

كما يبرز مفهوم التغريض عند ابن الأثير (637ه)من خلال ما سماه "في المبادئ والافتتاحات" حيث يقول: (وحقيقة هذا النوع أنْ يجعل مَطلَعُ الكلام من الشعر أو الرسالة دالًّا على المعنى المقصود إن كان فتحًا ففتحًا، وإن كان هناءً فهناءً، أو كان عزاءً فعزاء، وكذلك

يجري الحكم في غير ذلك من المعاني. وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به)[56]، فقد نادى إلى تضمين مطالع النصوص المقاصد المنشودة منها، مما يعبر على أن ابن الأثير، كان مدركًا مفهوم التغريض، باعتماد وسيلة المفتتح النّصّي، فجعل وظيفة المطلع في الدلالة على المغزى الذي يسعى المؤلف إلى إيصاله للمتلقي.

هذا وقد كان للنويري (733ه) كلام عن حسن الابتداء يقارب إلى حد بعيد مفهوم التغريض، من ذلك قوله: (هذه تسمية ابن المعتز، وأراد بها ابتداءات القصائد، وفرّع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال، وهو أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده. والكاتب أشد ضرورة إلى ذلك من غيره ليبتني كلامه على نسق واحد دل عليه – من أول علم بها – مقصده، إما في خطبة تقليد أو دعاء كتاب...)[57]، فهذا النص يؤكد استيعابه التام لمبدأ التغريض؛ حيث بين أن للفاتحة النصية دورًا في الكشف عن المراد من النصوص، وأضاف حاجة المؤلف له لما له من إسهام كبير في تشكيل وحدة دلالية متماسكة سواء للقصيدة أو الرسالة، وهو ما خالف فيه أصحاب النظرية، حين جعلوا انسجام النصوص هو نتاج عمليات بناء تقوم في ذهن القارئ.

وبالموازاة إلى ذلك أشار الحسين بن محمد الطيبي (743ه) إلى مبدأ التغريض بأن دعا إلى ضرورة أن يحتوي المطلع على المراد من النصوص، فقال عن المطلع: (... وفي حسنه شرطان: أحدهما: أن يضمن معنى ما سيق الكلام لأجله، ليكون الابتداء دالًّا على الانتهاء ويسمى (هذا) براعة الاستهلال)[58]، فجعل حسن الابتداء متوقفًا على أن يكون دالًّا على الغرض، بمعنى إعطاء وسيلة التغريض " الفاتحة النصية" أهمية كبرى في ضبط ارتباط أول الكلام بآخره، الأمر الذي يعبر عن أهليتها في انسجام النص. وهو ما وافقه فيه ابن القيم الجوزية (751ه) حين تعرض إلى حسن الابتداء معرّفًا إياه بقوله: (هو أنْ يذكر الإنسان في أوّل خطبته أو قصيدته، أو رسالته، كلامًا دالًّا على الغرض الذي يقصده ليكون ابتداء كلامه دالًّا على انتهائه)[59]، فدعوته إلى احتواء أوّل الكلام على الغرض إشارة واضحة إلى استيعابه مبدأ التغريض، وقوله بدلالة ابتداء أول الكلام على نهايته كنتيجة لذلك يعنى التحام أجزاء القصيدة أو الخطبة، أو الرسالة، جراء اعتماد مبدأ التغريض.

وفي سياق التأكيد على ذلك دعا النواجي (783ه) إلى الاعتناء بالمطلع والاجتهاد في صياغته بحيث يُسفر عن قصد المتكلم فقال: (وينبغي أن يتأنق في براعة الاستهلال وتسمى براعة المطلع. وهي عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها. وأن يأتي بإشارة تشعر بغرضه من مدح أو هجو أو تعتب، أو استعطاف، أو غير ذلك غير مصرح بذلك الغرض[60].فقد شرح معنى

براعة الاستهلال بما يجعلها مكافئة لمبدأ التغريض، مع التّنبيه على أن يكون المعنى العام الذي تحمله للنص مستترا.

وعضد رأيه هذا أبو بكر الحموي(837ه) حين تعرض إلى براعة الاستهلال قائلًا: (...فإنهم اشترطوا في براعة الاستهلال أن يكون مطلع القصيدة دالًّا على ما بنيت عليه مُشعرًا بغرض الناظم من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم ويستدل بها على مقصده)[61]، فحدد مزية دلالة المطلع على الغرض بأن تكون تلميحًا، لا على وجه التصريح، وذلك حتى تفتح للقارئ مجالا للتأويل.

ويقول أيضا: (وما سُمِّي هذا النوع براعة الاستهلال إلا لأن المتكلم يُفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به...)[62]؛ فجودة الافتتاح تكمن في قدرته على الإحالة إلى قصد المتكلم، من أول وهلة، ونقل عن ابن أبي الاصبع(654ه) قوله في براعة الاستهلال فقال: (فإن زكي الدين بن أبي الاصبع قال: براعة الاستهلال هي ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله)[63].

كانت أغلب آراء النقاد والبلاغين التي تؤكد وعيهم بمبدأ التغريض مركزة على الفاتحة النصية، ذلك أن البيئة العربية، ترى في المطلع نائبًا عن العنوان، فلذلك نالت المطالع اهتمامًا كبيرًا من طرف كل من المؤلفين، وكذا النقاد والبلاغيين، لدورها الكبير في التغريض، حيث يقوم في أحيان كثيرة بتعويض العنوان، مما يجعله مؤديًا مهمتين في آنٍ واحدٍ، ومع ذلك فإن الثقافة العربية لم تنكر دور العنوان في التغريض، فقد قيل" الكتاب يُقرأ من عنوانه"، وهو ما يعني احتواء العنوان على كثافة دلالية تحصي أغراض النص رغم بنيته الموجزة. كما أن العنوان في البيئة العربية غالبًا ما يترأس المؤلفات أكثر من أن يوضع أعلى القصائد الشعرية أو النصوص النثرية. وهو ما يعلل ندرة الآراء النقدية المتفحصة لجودته، أو ملاءمته للغرض الذي أُلِّف لأجله الكتاب.

ومع ذلك نجد أبا القاسم الكلاعي(634ه) في مؤلفه "إحكام صنعة الكلام" يلفت الانتباه إلى دور العنوان في الكشف عن أهداف الخطاب، بل وفي تحديد أهم عناصر السياق المقامي والتي لها شأنها في تحديد الدلالات الجوهرية له، فقال: (يحتمل أن يسمى عنوان الكتاب عنوانا لوجهين: أحدهما أنه يدل على غرض الكتاب[...] والوجه الآخر أنه سمي عنوانًا لأنه يدل على الكتاب ممن هو وإلى من هو)[64]؛ ووافقه في ذلك محمد مفتاح الذي يرى أن العنوان يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته بل و(يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذْ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه)[65]، وحين يضيف الكلاعي وظيفة الكشف عن أطراف التواصل، يكون قد عبر إلى استشفاف السمات التداولية اعتمادًا

على البنية اللغوية للعنوان، حيث تكشف عن العديد من خصائص لغة المؤلف كأسلوبه واختياراته، ومن ثم جمهوره المستقبل لذا النوع من المؤلفات.

كما تعرض محمد علي التهانوي (1158ه) في معجمه كشاف اصطلاحات الفنون إلى العنوان وعلاقته بالكتاب الذي وضع له، ورأى أن العلاقة الرابطة بين العنوان وكتابه علاقة إجمال وتفصيل، حيث يقول: (العنوان يتصدر الكتاب ليكون عند الناظر إجمال ما يفصله الغرض)[66]، وهو ما يبين وعي التهانوي بمفهوم التغريض، ذلك أن العنوان يجمل ما يفصله الخطاب من أغراض، وهو ما أكده الدكتور محمد بدري عبد الجليل بقوله: (إن العنوان جماع الفكرة، هو يلمح لما يأتي بعدًا من حديث يندرج تحت هذا العنوان)[67]. فالعنوان الذي يؤدي دور التغريض بنجاح هو الذي يجمل الأغراض التي سيفصلها النص.

إن اختيار التّهانوي لمصطلح "الناظر" يعبر عن نظرته لترابط العنوان بالكتاب من جهة المتلقي مما يوافق ما أتى به صاحبا النظرية؛ براون ويول(Brown & Yule).

هذا وقد برز مفهوم التغريض عند ثلة من النقاد والبلاغيين المحدثين، تحت عدة مسميات، فالبلاغيون مثلا حافظوا على الاصطلاح القديم والمتمثل في "براعة الاستهلال"، ومن ذلك نجد عبد الرحمن بن حسن حبنَّكة يقول: (أما براعة الاستهلال: فتكون بالبدء بما يكون فيه إلماح إلى المقصود الأول من النص الأدبي، وإبداع يجذب الانتباه، ويأسر المتلقي سامعًا أو قارئًا، مع حسن سبكٍ وعذوبة لفظٍ، وصحة معنًى، ومن البديع في البدء ذكرُ مجمل الموضوع أو مجمل القصة قبل التفصيل)[68]، أما في الدراسات النقدية فقد تم الاحتفاء بمبدأ التغريض تحت مسميات أخرى أبرزها سيمياء العنوان، والمطالع، ومن المؤلفات التي بزغ نجمها في سماء الساحة النقدية، والتي لها إضاءات تعكس تقاطعها مع مفهوم التغريض؛ كتاب "الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي" لياسين النصير، و"سيمياء العنوان" لبسام قطوس، بالإضافة إلى ذلك نجد الدكتور محمد محمد أبو موسى يرى أن الطلليات وغيرها من مقدمات القصائد ما هي إلا قوالب يصب فيها الشاعر أغراضه، وصرح بذلك قائلًا: (وأنا على يقين أن الشعر يتضمن مفاتيح فهمه، وأنه يفسر بعضه بعضًا، وقد رأيت الشاعر يضمر غرضه في كل ما مقاله مما نسميه تسامحًا مقدمة، وأن حديث الصاحبة والديار والرحلة والناقة وكل ذلك بمثابة المنوال الذي ينسج الشاعر عليه غرضه ببراعة ويقظة ولطف حيلة)[69]، ثم جزم بأن المطالع هي مفاتيح الفهم التي يتضمنها الشعر، وذلك بعد أن درس حضور مقاصد قصيدتين لامرئ القيس من خلال مطلعيهما، فقال: (ولا شك أن هذه المطالع هي مفاتيح هذه القصائد)[70]، ووافقه في ذلك الدكتور فوزي عيسى في مؤلفه النص الشعري وآليات القراءة، حين قال: (وفي أغلب النصوص الشعرية القديمة، تقوم المطالع أو المقدمات مقام العنوان في القصيدة الحديثة فتمثل خيطًا

أساسيًّا لحلّ شفرة النص)[71]. فقد أكّدا على الأهمية الكبيرة التي يحظى بها المطلع في التغريض للقصيدة.

بالإضافة إلى ذلك تربّعت على عرش القضايا الأدبيّة والبلاغيّة دراساتٌ تبحث في علاقة المطالع بالمقاصد من ذلك دراسة قامت بها الدكتورة فوزية العقيلي تحت عنوان علاقة المطالع بالمقاصد في القصيدة المادحة عند ابن زيدون، أكّدت فيها على أن لمطلع القصيدة وظيفة الإيحاء بمقاصد الشاعر حيث تقول: (تأتي المطالع بكل ما فيها من صور وإشارات، دالةً إيحائيًّا على مقاصده وما لديه من رؤى وأحاسيس وتطلعات، قد يظهرها في القصيدة نفسها كما قد لا يفعل، بل يكتفي بالإشارة إليها من خلال هذه المقدمات)[72]، فقد جعلت الصدارةَ المكانَ الأنسب للتّعبير عن الغرض، تعبيرًا ضمنيًّا إشاريًّا، وشاطرها الرأيَ الدكتورُ عصام عبد الحافظ؛ فقال: (وعلاقة المطالع بالمقاصد هي علاقة الدلالة، والإشارة، والإيحاء، والإنباء بما هو آت، ويتفق في هذا طريق القرآن، وطريق الشعر، والخطب، والرسائل، وكل أساليب البيان، فهو طريق شامل لكل الأساليب العالية)[73]؛ وكأنه يقول بأن السير وفق مبدأ التغريض هو ديدن كل النصوص المنسجمة.

خاتمة

وفي الأخير نصل إلى أن التفكير العربي من تفسير وتناسب ونقد وبيان، قديمه وحديثه، لا يخلو من أن يكون انطلاقه من نظرٍ نصّيّ شموليّ لعناصر وأجزاء الكلام العربي الفصيح، ومن بين الدلائل على ذلك، ربطهم بين نقطة بدايات الخطابات بمضامينها العامة، وهو ما يصطلح عليه في اللسانيات النَّصّيّة بمصطلح التغريض، وكانت الوسائل المعتمدة متطابقة بين الدراستين، حيث اهتموا بعلاقة العنوان بغرض النص ووجدوها في الغالب علاقة إجمال وتفصيل. كما بحثوا في تعبير مطالع النصوص عن مقاصدها، غير أن الدراسة العربية، يغلب عليها طابع التطبيق، في حين يغلب على دراسة براون ويول(Brown & Yule) الصياغة النظرية. مما يدعونا للربط بين الدرسين، لنكون قد جمعنا بين ما هو أصيل بما هو حديث.

إن انتباه العرب المتقدمين منهم والمحدثين، ومع اختلاف توجهاتهم، لدور العنوان والفاتحة النصية في احتواء الغرض، يدلل على المكانة الكبيرة التي يحتلها مبدأ التغريض عندهم في إبداء تماسك النصوص وانسجامها.

كثيرًا ما يصادفنا في الدّرس العربي، مصطلح "براعة الاستهلال" للتعبير عما يقارب مبدأ التغريض، رغم تعدد اختصاصات الدّارسين وتباعد الفترات الزّمنيّة التي عايشوها، مما يدلّل على وجود ثقافة توحيد المصطلح عندهم.

[1] نيوبرت ألبرت وغريعوري شريف، الترجمة وعلوم النص، تر: محي الدين حميدي،ط2،الرياض: النشر العلمي والمطابع، 2008، ص134.

[2] ينظر: عمر عبد الواحد، التعلق النصي، دار الهدى: المنيا،ط1، 2003، ص12.

[3] ينظر: محمود عكاشة، تحليل النص- دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النّصي-،مكتبة الرشد ناشرون: دب،ط1 2014، ص30.

[4] ينظر: فوزية عزوز، المقاربة النصية من تأصيل نظري إلى إجراء تطبيقي، دار كنوز المعرفة: عمان،ط1، 2016، ص119.

[5] ينظر: مولاي مروان العلوي، الترابط الدلالي في لسانيات الخطاب-تصور تون أ.فانديك نموذجا-، العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، الجزائر، جامعة محمد بوضياف.ع2،ديسمبر2017، ص ص195_198.

و: عمر أبو خرمة. نحو النص- نقد نظرية وبناء أخرى-.ط1. الأردن: عالم الكتب الحديث،2004،ص88.

[6] ينظر: محمد خطابي. لسانيات النص-مدخل إلى انسجام الخطاب- ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي،1991،ص ص27_51.

و: فوزية عزوز. المقاربة النّصية،ص119

[7] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحق: محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط8، 2005، ص648_649.

[8] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت: الكويت، دط، 1979، ج18، ص451.

[9] المرجع نفسه، ص454.

[10] المرجع نفسه، ص ص 456-457.

[11] المرجع نفسه، ص458.

[12] ينظر: محمد خطابي. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الحطاب، ص59.

[13] خليل بن ياسر البطاشي. الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب.ط1.عَمان: دار جرير،2009،ص162.

[14] جوليان براون وجورج يول،تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي ، النشر العلمي والمطابع: السعودية، دط، 1997،ص155.

[15] ينظر: خلود العموش، فاتحة سورة الإنسان ودورها في التشكيل النصي، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، الأردن، المجلد9، العدد1، 2013، ص189.

[16] ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب،ص158_ص164.

و: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص59.

[17] فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية ناشرون ومنشورات الاختلاف: لبنان والجزائر،ط1،2010،ص226.

[18] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 60.

[19] عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص البنية والدلالة، شركة الرابطة: الدار البيضاء،ط1، 1996، ص19.

[20] المرجع نفسه. ص18.

[21] ينظر: خالد كاظم حميدي. سيميائية العنوان في القرآن الكريم دراسة من منظور التفسير البلاغي، ضمن كتاب البلاغة العربية والمقاربات النقدية المعاصرة الآفاق العلاقات والوظائف، دط. الجزائر: دار قرطبة، 2016،ص86.

[22] ينظر: خلود إبراهيم العموش. الجملة الابتدائية ووظائفها النصية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج6،ع4، شوال 1431هـ/تشرين أول 2010م، ص56.

[23] خلود العموش، فاتحة سورة الإنسان ودورها في التشكيل النصي، ص180.

[24] ينظر: محمد جاسم الخلف. نحو النص في الخطاب القرآني.ط1. الأردن: دار كنوز المعرفة، 2018،ص 104.

[25] ينظر: المرجع نفسه.ص121.

[26] زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع: القاهرة،ط2003،1، ص124.

[27] ينظر: تون أ. فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري،: دار القاهرة للكتاب: القاهرة،ط1، 2001، ص62.

[28] ينظر: تامر عبد الحميد محي الدين أنيس، الإحالة في القرآن الكريم دراسة نحوية نصية، مكتبة الإمام البخاري: القاهرة،ط1، 2008،ص400.

[29] المرجع نفسه. ص403.

[30] ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم: دمشق، ط2000،3، ص58.

و: فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة الملك فهد الوطنية:الرياض،ط2005،14، ص447.

[31] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي: القاهرة، دط، دت،ج1،ص18.

[32] كترة لموشي ومريم غرايسة، الآليات النصية في علمي المناسبة وأسباب النزول- من القرن الثامن إلى القرن العاشر الهجريين-، مذكرة ماستر ، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، كلية الآداب واللغات، 2018م، ص46.

[33] المصدر السابق،ج1، ص ص 18_19.

[34] برهان الدين البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف: الرياض، ط1، 1987.ج1. ص149.

[35] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحق: عبدالرؤوف سعدة، المكتبة التوقيفية: مصر،ط3، 2014،ج3، ص ص256_257.

[36] جلال الدين السيوطي، اسرار ترتيب القرآن، تحق: عبد القادر أحمد العطا، دار الاعتصام: دب،ط2، 1978، ص66.

[37] بسام موسى قطوس، سيمياء العنوان، مكتبة الاسكندرانية: الأردن، ط1، 2001،ص49.

[38] ينظر: محمد جاسم الخلف، نحو النص في الخطاب القرآني، ص21.

[39] فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الفكر: بيروت، ط1، 1981، ج22. ص171.

[40] المصدر نفسه، ج1، ص179.

[41] المصدر نفسه، ج 12، ص ص153-154.

[42] المصدر نفسه، ج9، ص163.

[43] المصدر نفسه، ج11، ص ص 73-74.

[44] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر: تونس، دط، 1984، ج6، ص74.

[45] ياسين النصير، الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، دار نينوى: سوريا، ط3، 2009، ص24.

[46] المصدر السابق، ج22، ص134.

[47] المصدر نفسه، ج22. ص 135 - ص136.

[48] المصدر نفسه، ج28، ص205.

[49] المصدر نفسه، ج28، ص206.

[50] المصدر نفسه، ج29، ص336.

[51] المصدر نفسه، ج29، ص337.

[52] الجاحظ، البيان والتبيين، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة،ط7، 1998، ج1، ص116.

[53] أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحق: عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر: الرياض، دط، 1985،ص24.

[54] أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحق: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، مطبعة السعادة: مصر،ط1، 1907، ج1، ص144.

[55] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية: بيروت، دط، دت، ص441.

[56] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر: القاهرة، دط، دت، ج3، ص96.

[57] أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحق: علي أبو ملحم، دار الكتب العلمية: بيروت ط1، 2004، ج7، ص133.

[58] الحسين بن محمد الطيبي، التبيان في البيان، تحق: عبد الستار حسين زمُّوط، دار الجيل: بيروت،ط1، 1996، ص542.

[59] أبو عبد الله محمد ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية: بيروت، دط، دت، ص139.

[60] شمس الدين محمد بن حسن النواجي، مقدمة في صناعة النظم والنثر، تحق: محمد بن عبد الكريم، مكتبة الحياة: بيروت، دط، دت، ص ص 66_67.

[61] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال: بيروت،ط2، 1991. ج1،ص30.

[62] المصدر نفسه. ص ن.

[63] المصدر نفسه. ص 31.

[64] أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، تحق: محمد رضوان الداية، بيروت: دار الثقافة، 1966، ص52.

[65] محمد مفتاح، دينامية النص تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، دط، دت، ص72.

[66] محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحق: علي دجروج، مكتبة لبنان ناشرون: لبنان، ط1996،1، ج1، ص15.

[67] محمد بدري عبد الجليل، براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور، المكتب الإسلامي:بيروت،ط2، 1984، ص24.

[68] عبد الرحمن بن حسن حبنَّكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم والدار الشامية: دمشق وبيروت، ط1، 1996، ج2، ص559.

[69] محمد محمد أبو موسى، الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء، مكتبة وهبة: القاهرة، ط2، 2012، ص12.

[70] المرجع نفسه، ص30.

[71] فوزي عيسى، النص الشعري وآليات القراءة، دار المعرفة الجامعية: مصر، دط،2006، ص12.

[72] فوزية عبد الله العقيلي، علاقة المطالع بالمقاصد في القصيدة المادحة عند ابن زيدون(دراسة أدبية)، مجلة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع23، مارس 2019، ص ص282-283.

[73] عصام عبد الحافظ عبد العال، علاقة مطالع الآيات بمقاصدها في عرض النظم القرآني لقصة سيدنا آدم عليه دراسة تحليلية مقارنة في أسرار التناسب، حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر ، ع18،ج4، 2014، ص2964.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحق: علي أبو ملحم، دار الكتب العلمية: بيروت ط1، 2004، ج7.
2. برهان الدين البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف: الرياض، ط1، 1987.ج1.
3. برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي: القاهرة، دط، دت،ج1.
4. بسام موسى قطوس، سيمياء العنوان، مكتبة الاسكندرانية: الأردن، ط1، 2001.
5. تامر عبد الحميد محي الدين أنيس، الإحالة في القرآن الكريم دراسة نحوية نصية، مكتبة الإمام البخاري: القاهرة،ط1، 2008.
6. تون أ. فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري،: دار القاهرة للكتاب: القاهرة،ط1، 2001.
7. الجاحظ، البيان والتبيين، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة،ط7، 1998، ج1.

8. جلال الدين السيوطي، اسرار ترتيب القرآن، تحق: عبد القادر أحمد العطا، دار الاعتصام: دب،ط2، 1978.
9. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحق: عبدالرؤوف سعدة، المكتبة التوقيفية: مصر،ط3، 2014،ج3.
10. جوليان براون وجورج يول،تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي ، النشر العلمي والمطابع: السعودية، دط، 1997.
11. ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال: بيروت،ط2، 1991. ج1.
12. أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحق: عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر: الرياض، دط، 1985.
13. الحسين بن محمد الطيبي، التبيان في البيان، تحق: عبد الستار حسين زمُّوط، دار الجيل: بيروت،ط1، 1996.
14. خالد كاظم حميدي. سيميائية العنوان في القرآن الكريم دراسة من منظور التفسير البلاغي، ضمن كتاب البلاغة العربية والمقاربات النقدية المعاصرة الآفاق العلاقات والوظائف، دط. الجزائر: دار قرطبة، 2016.
15. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية: بيروت، دط، دت.
16. خلود إبراهيم العموش. الجملة الابتدائية ووظائفها النصية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج6،ع4، شوال 1431هـ/تشرين أول 2010م.
17. خلود العموش، فاتحة سورة الإنسان ودورها في التشكيل النصي، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، الأردن، المجلد9، العدد1، 2013.
18. خليل بن ياسر البطاشي. الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب.ط1.عَمان: دار جرير،2009.
19. زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع: القاهرة،ط1، 2003.
20. شمس الدين محمد بن حسن النواجي، مقدمة في صناعة النظم والنثر، تحق: محمد بن عبد الكريم، مكتبة الحياة: بيروت، دط، دت.
21. ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر: القاهرة، دط، دت، ج3.
22. عبد الرحمن بن حسن حبنَّكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم والدار الشامية: دمشق وبيروت، ط1، 1996، ج2.
23. عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص البنية والدلالة، شركة الرابطة: الدار البيضاء،ط1، 1996.

24. أبو عبد الله محمد ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية: بيروت، دط، دت.
25. عصام عبد الحافظ عبد العال، علاقة مطالع الآيات بمقاصدها في عرض النظم القرآني لقصة سيدنا آدم عليه دراسة تحليلية مقارنة في أسرار التناسب، حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر ، ع18،ج4، 2014.
26. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحق: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، مطبعة السعادة: مصر،ط1، 1907، ج1.
27. عمر أبو خرمة، نحو النص- نقد نظرية وبناء أخرى-، عالم الكتب الحديث: الأردن، ط1،2004.
28. عمر عبد الواحد، التعلق النصي، دار الهدى: المنيا،ط1، 2003.
29. فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الفكر: بيروت، ط1، 1981، ج1، 9، 11، 12، 22.
30. فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، ط14، 2005.
31. فوزي عيسى، النص الشعري وآليات القراءة، دار المعرفة الجامعية: مصر، دط،2006.
32. فوزية عبد الله العقيلي، علاقة المطالع بالمقاصد في القصيدة المادحة عند ابن زيدون(دراسة أدبية)، مجلة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع23، مارس 2019.
33. فوزية عزوز، المقاربة النصية من تأصيل نظري إلى إجراء تطبيقي، دار كنوز المعرفة: عمان،ط1، 2016.
34. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية ناشرون ومنشورات الاختلاف: لبنان والجزائر، ط1، 2010.
35. أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، تحق: محمد رضوان الداية، بيروت: دار الثقافة، 1966.
36. كنزة لموشي ومريم غرايسة، الآليات النصية في علمي المناسبة وأسباب النزول- من القرن الثامن إلى القرن العاشر الهجريين-، مذكرة ماستر ، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، كلية الآداب واللغات، 2018م،
37. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحق: محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط8، 2005.
38. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر: تونس، دط، 1984، ج6، 22، 28، 29.
39. محمد بدري عبد الجليل، براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور، المكتب الإسلامي: بيروت، ط2، 1984.
40. محمد جاسم الخلف، نحو النص في الخطاب القرآني، دار كنوز المعرفة: الأردن، ط1، 2018.
41. محمد خطابي، لسانيات النص -مدخل إلى انسجام الخطاب-، المركز الثقافي العربي: بيروت، ط1،1991.

42. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحق: علي دجروج، مكتبة لبنان ناشرون: لبنان، ط1996،1، ج1.
43. محمد محمد أبو موسى، الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء، مكتبة وهبة: القاهرة، ط2، 2012.
44. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت: الكويت، دط، 1979، ج18.
45. محمد مفتاح، دينامية النص تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، دط، دت.
46. محمود عكاشة، تحليل النص- دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النّصي-،مكتبة الرشد ناشرون: دب،ط1، 2014.
47. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم: دمشق، ط3، 2000.
48. مولاي مروان العلوي، الترابط الدلالي في لسانيات الخطاب-تصور تون أ.فانديك نموذجا-، العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، الجزائر، جامعة محمد بوضياف.ع2،ديسمبر2017.
49. نيوبرت ألبرت وغريعوري شريف، الترجمة وعلوم النص، تر: محي الدين حميدي،النشر العلمي والمطابع: الرياض، ط2، 2008.
50. ياسين النصير، الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، دار نينوى: سوريا، ط3، 2009.